# المجلس العاشر: القرآن وسيلة إصلاح المجتمعات[١]

بسم الله – الحمد الذى أثلج صدور بسماع القرآن، وفتح كنوز عقولنا لفهم معانى القرآن، وجعل فى قلوبنا نوراً نستنزل به فيض فضل الله عزوجل فى هذا البيان. اللهم صلِّ وسلِّمْ و ركْ على من كان صورة القرآن فى أفعاله وأخلاقه وسلوكه وأحواله، سيد محمَّد الذى قال الله عزوجل فى شأنه لحسن أدبه مع كتاب ربه:

{ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ } (٤القلم)

وقالت فيه السيدة التقية المباركة زوجه – عندما سئلت عن أخلاقه – قالت: {كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ}[٢]. صلَّى الله عليه وعلى آله الذين مشوا على منواله، وعلى صحابته الذين شاركوه فى أحواله، وعلى الأتقياء الأنقياء من أتباعه الذين حذوا مثاله إلى يوم الدين، واجعلنا منهم بفضلك وجودك أرحم الراحمين.

القرآن الكريم هو الدستور الإلهىّ الذى نزَّله لنا وإلينا المولى عزوجل، وعندما تدى مديه – كما كان يفعل السلف الصالح من أصحاب حضرة النبى ﷺ، ورضى الله تبارك وتعالى عنهم – سيغيِّر الله حالنا إلى أحسن حال، وسنصير فى نعم وأُلفةٍ ليس لها زوال.

نحن كل التغير الذى حصل فى حياتنا، وانسحب على أفعالنا وسلوكياتنا، لأننا تناولنا القرآن بغير الكيفية التى كان يتناولها به أصحاب النبى العد ن!!! المحسنون منا جعلوه كتاب تلاوة للتعبد، نعم هو ينفذ الحديث الذى ورد عن الحبيب ﷺ:

{مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ،وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، لا أَقُولُ الْحَرْفُ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ }[٣]

لكن هل هذه هى الغاية العظمى للمؤمن مع كتاب الله؟ نسأل الله!! ماذا تريد منا ربنا مع كتابك الذى أنزلتهُ مع حبيبك ومصطفاك؟!!

{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} (٢٩ص).

هذا الكتاب كله بركة، لكن لا نتوقف عند البركه، نضعه فى السيارة بركة! فى غرفة الصالون بركة! وهو مغلق لا نفتحه!! فالبركة فى التدبر، والله عزوجل – وهو العلىُّ العظيم – من فضلهِ وجودهِ وكرمهِ على المؤمنين يسَّر تلاوة القرآن وفهم القرآن لجميع أمة النبى العد ن، حتى الأميين منهم، حتى الذين لا يستطيعون أن ينطقوا بفصيح اللسان العربى!!

{ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} (١٧القمر)

لم يقل (هل من لى)!! (هل من قارئ)!! لأن الغاية هى التدبر والتمعن وحسن الفهم مع صفاء الذهن؛ ومع صفاء القلب والفؤاد يكون وصل للمعانى بدون هوي فى نفسه، ولا رغبه كامنة فى فؤاده، ولا أثر للفكر الموجود فى عقله، ولكن ليفهم القرآن من منزل القرآن عزوجل.

---

[١] المحاميد قبلي ٢٦ من محرم ١٤٣٦هـ ٢٠١٤/١١/١٨

[٢] رواه الإمام مسلم وأحمد والنسائي عن السيدة عائشة رضي الله عنها

[٣] أخرجه عبد الرزاق في (المصنف)، ومن الطبراني في (الكبير) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه

# تدبر القرآن

فجعل الله عزوجل القرآن ميسَّراً حتى لمن لا يقرأون العربية ولا يفهمون العربية، وإن كان فيكم من ذهب لبيت الله الحرام وتري الجماعه الأفارقة والغير عرب، وتلقى عليه السلام ويرده عليك، لكن لا يستطيع الكلام معك – ويمسك الكتاب المكنون الذى فيه نورُ الله المصون، وعِلْمُه عزوجل المخزون، يمسكه ويقرأه بلغة عربية فصيحة!! لا يعلم العربية ويقرأ، وتجد دموعه تنزل من عينيه على سحنتيه، وهذا دليل على أنه فهم القرأن، و ثر لقرآن، سِرَّ قوله تعالى:

{ وَلَقَدْ يَسَّرْ َ الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ } (١٧القمر)

الجماعة الموجودون عند ، الذين تون فى رمضان ويجعلوه موسماً لقراءة القرآن ويتبارون مع بعضهم: لقد أ يت خمس ختمات، والآخر: لقد أ يت عشر ختمات، لكن ماذا فهمت مما نطقته من كتاب الله؟!! ربنا يعاتب من يقرأ القرأن بدون تدبر!! فيقول: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ } (٢٤محمد). لماذا لا يتدبرون القرآن؟!!! وانظر إلى الكلمة الصعبة القادمة: { أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } (٢٤محمد). قلو م مغلقة لا تستطيع فهم معانى كلام حضرة الرحمن عزوجل!!! وهل القلوب – أحباب – لها أقفال؟!! نعم.

لذلك سيد عثمان بن عفان رضى الله عنه – وكان من الأئمة العظام فى كتاب الله، واصَلَ التدبر والتمعن فى تلاوة كتاب الله جلَّ وعلا حتى يسَّر الله له التلاوة، وطوى له الزمان أثناء التلاوة، كان يقرأ القرآن كلَّه من أوله إلى آخره فى ركعتين بعد صلاة المغرب وقبل صلاة العشاء، فكيف هذا؟!!! لكن وما ذلك على الله بعزيز، لأن هؤلاء القوم لهم ما يشاؤون عند ر م. كان يقول: (لو طهرت القلوب ما شبعت من كلام علام الغيوب). ما الذى يمنع التدبر؟ الفتحات والأعضاء التى تورد للقلب – من عالم المُلك الذى نحن فيه – ما يشغله عن خالقه و ريه!!!

# سلامة القلب والأخوة الإيمانية

القلب خلقه الله عزوجل وجعله لذاتهِ، لتجلياتهِ ولتنزلاتهِ، ولعلمهِ الإلهامى ولفيوضاتهِ، ولأسرار كتابه ولأنوارِ نبيّه ﷺ وأصحابه وأحبابه. هو معدٌّ لهذا الأمر!! لا يجوز للمؤمن أن يدخل فيه الدنيا والمشاكل، والمشاغل والأهواء، والحيل والمكر والدهاء، كل هذا لا يجوز فى قلب المؤمن أبداً، وكان أحرص ما يحرص عليه رسول الله ﷺ مع أصحابه سلامة القلوب، لأن الله عزوجل بيَّن فى قرآنه أن الذين يقبلون على الله، فيقبل عليهم الله ويواليهم لطافة وفتحهِ، هم الذين يقول فيهم الله:

{ إِلَّا مَنْ أَتَى ا ّ َ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} (٨٩الشعراء)

يعنى قلب ليس فيه شك ولا شركٌ ولا منازعه للربوبية فى حضرة الألوهية، بل تسليم مطلق لحضرة الحق. وليس فيهِ غلٌ ولا حقد، ولا حسدٌ ولا بغضٌ ولا كره، لأحد من خلق الله. مَنْ المؤمنون عندك رب ؟ من لهم مكانه ومنزلة عند الله!!! {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ } عندما ينزع من صدورهم الغلُّ، يصبحون { إِخْوَاً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} (٤٧الحجر). كأن من عنده غلٌّ أو حقد، أو كُرْهٌ أو حسد، لم يصل إلى درجة الأخوة الإيمانية القرآنية.

نريد مزيداً من التفسير؛ نرجع للمذكرة التفسيرية التى وضعها خير البرية فى تفسير الآ ت الإلهية، { لا يُبْقِ

بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ، وَ لايَخْطُبْ بَعْضُكُمْ عَلَى خِطْبَةِ بَعْضٍ }[٤] ، و {لا تَبَاغَضُوا وَ لا تَحَاسَدُوا ، وَ لا تَنَاجَشُوا ، وَ لا تَدَابَرُوا } ، وبعد ذلك {وَ كُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا }[٥] ، اذا تركتم ماسبق تكونوا إخوا وهذا يعنى تحبوا بعض ، ونسعى فى مصالح بعض ، ونشفق على بعض، ونعطف على بعض ونتعاون مع بعض ، ولذلك عندما ترى الخلافات والمشاكل، فهم لم يصلوا للأخوه الإيمانيه ، لأن الأخوة الإيمانية جعلها الله عزوجل فى درجة علية وأشترط فيها خلو القلب من جميع مايضير وما يسئ لجميع البرية ،ثم خلو القلب من الشوائب الكونيه ، لأن الذي يعمل لا بد أن يعلم علم اليقين أن الله سيتولاه وهو يتولى الصالحين . فممن يخاف ، إذا كان يقول فى حديثه القدسى:

**{ قد رزقت من غفل عني وعصاني فكيف لا أرزق من أطاعني ودعاني }**[٦]

إذن من أين المصيبة ؟

من الشك! أفى الله شك ؟ الشك فى الرزق شك فى الرزاق عزوجل. حسن التوكل على الله مع الأخذ لأسباب يجعل الإنسان فى رعاية الله وعناية الله على الدوام . فإذا طهر القلب وجدت فيه بضاعة الإيمان ، تى للصلاة يلبسه القلب حلة الخشوع والحضور، ويصلى خاشعاً وهى الصلاة التى امتدحها الله فى أول سورة المؤمنون ، الذين هم فى صلا م هل قال: يطيلون فى الركوع والسجود؟ أو يطيلون فى القراءة ؟ لا هذا ليس له خاصة ولكن:

{ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)} (١،٢المؤمنون)

لذلك يقول ربنا: { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} (٣١الأعراف). فكيف؟ نلبس الجديد ونضع العطر؟!! لا، بل إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا أموالكم ، لكن إلى ماذا ينظر؟ ينظر إلى القلب لهيئة التى ستقابل ا الله؛ هو يريد الخشية والخشوع والحب الذى لا شريك لهُ معهُ سواه ، وحسن التوكل على الله، والتسليم فى جميع الأمور . عندما يصلى الإنسان الصلاة ذا الخشوع يجد فى الصلاة فتحاً من الله، يجد فى الأ ت التى يقرأها تنزلات لمعانى لم يسمعها من أحد من خلق الله!! أريد أحداً يقول لى من أيّ كتاب تفسير قرأ الصحابة؟!! هل كان موجود تفسير مكتوب؟!! ويقول الآخر: مكتبة الصحابة الأجلاء كان فيها كم من الكتب؟ هو كتاب واحد!! كتاب الله عزوجل.

لكن عندما نسمع أخبارهم وأحوالهم، من أين جاءوا ذة العلوم؟!! وكيف وصلوا للحقائق ؟!! تى سيد على يقول فى واحد منهم – سيد عبد الله بن مسعود مثلاً – يقول: (عبد الله ملئ علماً من رأسه إلى أخمص قدميه). تخرج من أى كلية عبد الله؟ من كلية: { مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ } (٢٩الفتح). لم يدخل جامعة مفتوحة ولا مغلقة من الجامعات الدنيوية، لكن فى الجامعة الإلهية!!! والإمام علىٌّ نفسه يقول: (لو فسرت فاتحة الكتاب بما أعلم – مما علمه لى ربى – لوقرتم سبعين بعيراً؟)، تحملون سبعين بعيراً كتب فى تفسير الفاتحة. من أين ذلك إخوانى؟ من: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ } (٢٨٢ البقرة). تقوى الله، ويعلمهم الله من علمه المكنون.

## تربية الأبناء على الصفاء

لكنهم حافظوا وحافظ لهم النبىُّ على صفاء القلوب، هذا هو الأهم. وكان يحرص على ذلك حتى للتلامذة الجدد

---

٤ البخاري ومسلم ومالك عن نافع عن بن عمر رضي الله عنهما.
٥ البخارى ومسلم عن عبدالرحمن بن صخر.
٦ ذكره ابن عطاء الله السكندري في "تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس": { أيها العبد: أمرتُك بخدمتي، وضمنتُ لك بقسمتي، فأهملتَ ما أمرتُ ،وشككتَ فيما ضمنتُ ، ولم أكتف بقسمتي لك بالضمان حتى أقسمتُ ، ولم أكتف بالقسم حتى مثلت، فخاطبت عباداً يفهمون فقلت [ وفي السماء رزقكم وما توعدون.فوربّ السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ] (٢٢،٢٣الذاريات)، وقد رزقتُ من غفل عني وعصاني، فكيف لا أرزق من أطاعني ودعاني؟}.
المحاميد قبلي ٢٦ من محرم ١٤٣٦هـ ٢٠١٤/١١/١٨

الصغار فى السن، سيد أنس بن مالك دخل على حضرة النبى وكان عنده عشر سنين، وأمة كانت من كبار الصالحات – السيدة أم سليم رضى الله عنها وأرضاها – كانت قد نذرت إن أعطاها الله ولداً به خادماً للكعبة، وهذا قبل الإسلام وقبل هجرة النبى ﷺ، وعندما هاجر النبى وشرح الله صدرها للإسلام؛ أتت نس وقالت: رسول الله، إنى نذرت نذراً إن وهبنى الله غلاماً أجعله خادماً للكعبة، واليوم أوفى بنذرى وأجعلة خادما لك)، جعلته خادماً لرسول الله ﷺ. وقالت له: أريد أن أطمئن عليه، فدعا له النبىُّ ﷺ وقال:

**{ اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَ وَلَدَهُ وَ بَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ }**[٧]

فعاش أكتر من مائة عام، وله اكثر من ثلاثة وستين ولداً غير أحفاده، وكان مالُهُ من فضل الله عليه، كانت حديقته هي الفريدة الوحيدة التى تنتج فى العام مرتين، لماذا؟ لأن الرسول ﷺ دعا له.

هذا الرجل عندما استلمه رسول الله ﷺ قال له:

**{ يا أنس، إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَ تُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا بُنَيَّ وَ ذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي وَ مَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي وَ مَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ }**[٨]

وهى البداية أحباب!! بداية النبى مع من؟ مع المبتدئين فى طريق رب العالمين. وانظر ماذا نفعل نحن الآن؟!! إن الرجل والمرأه يلقنان الولد أن عمك فلان عمل كذا وكذا، وعمتك فلانة عملت كذا وكذا؛ يكبر الولد ولا يريد أن يرد السلام على عمه، و لطبع لا يريد أن يفعل له أى مصلحة، ولا يحترمه ولا ويوقره، لماذا؟ لأن الأب والأم لقنوه!!! هل هذا مبدأ الإسلام إخواني؟!! لا، مبدأ الإسلام ليس كذلك!!

## بركة سلامة القلوب

لو حافظنا على سلامة القلوب، حفظنا الله عزوجل من العيوب، ثم بعد ذلك حفظنا من الذنوب، ثم بعد ذلك نزَّل لنا خيره المبارك من السماوات ومن الأرض، وأغنا عن جميع خلقه؛ هذا كلام الله وليس كلامى!!

**{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ }** (٩٦الأعراف)

ونحن محتارون كلنا كيف سنعيش؟ وما الذي نفعله والأرزاق شحيحة والخيرات قليلة؟!! وكلام الله واضح .. (لو آمنوا واتقوا) .. لم يقل سيفتح لكم خيرات، بل قال: (بركات)، والبركة إذا نزلت فى القليل سيتحول إلى كثير، وهذا ما علَّمه الرسول للصحابة الكرام. لم يعلمهم أن يبحثوا على الكثرة، بل (البركة)، لأن البركة إذا أتت فتحدِّث ولا حرج، وحكا م فى هذا المقام إذا مكثنا هنا لقيام الساعه لانستطيع أن ننهيها أو ننتهى منها!!!

سيد أبو هريرة رضى الله عنه وأرضاه، سيد رسول الله أعطاه جراب جلدٍ وبداخله التمر، وقال له: كل منه ولكن لا تفتحه وتنظر ما فيه، وخرج مع جماعة فى إحدى الغزوات؛ جماعة من أصحاب الرسول بعثهم فى بعث. ولما مشوا نفد الزاد، ولا يوجد غير الجراب الذى مع أبي هريره، واستمروا خمس عشرة يوماً وكان الجيش حوالى ثلاثمائة فرداً يعيشون على تمر الجراب، كان يعطى كل واحد فى اليوم تمره كلها فيشبعه الله ولا يحس لجوع ابداً. وهذا مثل من الأمثلة لكن هذا الباب ليس له حد. ولا أحد يقول إن هذة النماذج إنتهت من الدنيا، كلاَّ هى موجودة والحمد ، لكن من الذى يعيش ا؟ الصادقون من الصالحين، لأن هذا قرار الله للمؤمنين.

---

٧ البخاري عن أنس رضى الله عنه
٨ الترمذي والطبراني عن سعيد بن المسيب من حديث أنس رضى الله عنه.

قدَّر الله – وهو قدير – لغير المؤمنين أن كلوا من الأسباب بغير دعم من حضرة الوهاب، وقدَّر الله للمؤمنين أن يرزقهم من الأسباب ثم يضيف لهم دعماً من كنوز الوهاب:

{لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } (٣٨النور)

هذه لمن؟ لنا نحن خاصة، بينا نحن بمن ؟ بمن يتقى الله { وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا( ٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ } (الطلاق)، من طريق لا يعلمه ولا يتقنه، ليعلم أن الله يتولاه، وأن الله عزوجل يتكفل به ويرعاه، وأن الله عزوجل يواليه دوماً لأنه يتقى الله، فيشكر الله فيزيد فى تقواه عزوجل.

## قراءة الصحابة المباركين للقرآن

وهؤلاء الجماعه سيد رسول الله علمهم كيف يقرأون القرآن؛ وسيد عبد الله بن مسعود يقول عن الطريقة التى ساروا عليها لكى نتعلمها: (جعلنا القرآن الكريم رسائل ربنا إلينا) – رسالة أرسلها الله لنا – (فكنا نقرأه ونتدبرة لليل ثم ننفذه لنهار)، لا يقرأ الرجل منهم جزءٍ أو أكثر، لكن يقرأ آ ت أو آية واحدة ولا ينتقل منها إلا عندما يطبقها فى حياته وفى سلوكه، وفى عمله وفى بيته، بين أحبابه وبين جيرانه ... يصدقها فى ا تمع ليكون صورة من كتاب الله عزوجل.

والله عزوجل نبَّه المؤمنين وأرسل لنا رسالة تنبيه صغيرة مع سيد داوود، وهو أحد أنبياء الله السابقين والذى كان مشغولاً لعبادة، والعبادة الخاصة بة وقت ما يناجى الله كان يتغنى ويتلذذ لعبادة، والنبىُّ ﷺ قال: {لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ }[٩]، وأن تقرأ بترنم لا تقرأ قراءة جافة، عندما سمع ذلك كان يمر عليهم الرسول فى الليل ويراهم وهم يقرأون القرآن ويقول:

{ إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ ،وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ }[١٠]

يسمع هذا يعرفه من طريقة قراءته، وكان يسمع سيد أبو موسى الأشعرى فقال له:

{لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ قِرَاءَتَكَ الْبَارِحَةَ ، لَقَدْ أُعْطِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ " .
قُلْتُ : أَمَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَسْمَعُ قِرَاءَتِي لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا }[١١]

لأنغامك التى تشابه سيد داوود وهو يناجى الله، وسيد داوود عندما يناجى الله كانت الطيور والحيوا ت والجبال تتحرك و تز معه ثراً بكلام الله عزوجل:

{ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ } (١٠سبأ)

كلها تكون من حلاوة الصوت!!

وكذلك أصحاب رسول الله؛ سيد أبو بكر رضى الله عنه فى مكة صنع لنفسه غرفة فى مدخل البيت يترنم فيها لقرآن؛ الكافرون والنساء والصبيان والعبيد وقت ما سيد أبو بكر يبدأ التلاوة يتجمعوا ويتركوا ما معهم ليسمعوا سيد أبو بكر رضى الله عنه فى تلاوته للقرآن، لأ ا تلاوة من عند الله.

---

٩ رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه وزاد غيره: (يجهر به).
١٠ البخارى ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه
١١ رواه البخاري ومسلم من طريق أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه

فسيد داوود، قال الله تعالى له:

{عبدى يأتيك كتاب من قريب لك وأنت فى الطريق تمشى فتجلس إليه وتقرأه وتتدبره حرفاً حرفاً، وهذا كتابى إليك .. أفكنت أهون عندك من بعض أقاربك وأصدقائك؟!! عبدى يأتيك صديق لك يتحدث معك فتقبل عليه بكل وجهك، وتصغى إليه بكل أذنك، وها أنا ذا متحدث معك .. أفكنت أهون عندك من بعض أصدقائك؟!!} ١٢.

من يقرأ القرأن يناجى الرحمن!! قال ﷺ:

{ إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُحَدِّثَ رَبَّهُ تَعَالَى فَلْيَقْرَأِ القرآن } ١٣

وكما قلت كان النبيُّ ﷺ يمر فوجد سيد أبو بكر يقرأ بصوت هادىء، وسيد عمر يقرأ بصوت عالى، وسيد بلال يختار آ ت – لا يقرأ لترتيب – آيتين من هنا وأخرى من هنا؛ وكان هذا المرور ليلاً، هو يتابعهم ليشتغلوا بخالقهم و ربهم، ولتزيد أنوارهم وأسرارهم، وتزيد علومهم وكل أحوالهم العلية من ربِّ البرية عزوجل.

فأتى الصبح ليراجع ما حصل ليلاً، مثلاً من رأى رؤ لأمس ويحكى له، ماذا فعل هذا وهذا؟ إمام يربى هؤلاء على التربية الإلهيه ﷺ. فقال لأبى بكر: لِمَ تقرأ القرآن بصوت خافت؟ قال: لأسمع من أ جى!! أ عندما أقرأ أسمع الله وهو يقرأ كلامه. وعندما نقرأ كلام الله نجد فيه العجب!! وعندما شيخنا رك الله فيه يقرأ لنا:

{ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي } (١٤طه)

من يقول هذا الكلام!!

هو أم الله؟ الله .. فما ل القارىء هذا؟!

جعله الله عزوجل ينطق بلسانه لنيابة عن حضرة الله، لكن المتحدث والناطق هو الله جلَّ فى علاه. والصالحون يقرأون كلام الله وهم على يقين أن الذى يُسمعهم داخل قلو م أثناء التلاوة هو الله عزوجل.

قال ﷺ: وأنت عمر لِمَ تجهر لتلاوة؟ قال: أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان؛ لأطرد النوم القادم، والشيطان .. لا يوسوس لى.

وأنت بلال لِماذا تنتقى الآ ت؟ قال: لأخلط الطيب لطيب!! سيد بلال كان يختار آ ت الجنة ويضعها مع بعضها، كان لا يحب آ ت جهنم وكذا، هل هناك مانع؟ لا. فأقر الجميع على ذلك. فكانوا يكتفون بتلاوة آ ت مع التدبر ومع التأنى، ولم يكن هناك مانع أن يقرأ الفرد منهم الليلة كلها ية!! لأ م علموا أن النَّبِيَّ ﷺ أخذ ليلة كاملة يرتل آية واحدة من كتاب الله:

{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا } (٤١النساء)

ليلة كاملة مع آية واحدة!! ولا قبلها ولا بعدها، لماذا؟

لأنه عاش فيها!!!

---

١٢ إحياء علوم الدين

١٣ أخرجه الإمام السيوطي عن أنس رضي الله عنه

حتى سيد عبد الله بن عمر قال: كان من يحفظ البقرة من أصحاب النَّبِيِّ يُدعى عظيماً. خذ لقب عظيم!

لقب شا من ألقاب هذه الأ م، وهي كلمة تركية تعادل عظيم فى اللغة العربية، وأعطوه لقب عظيم لأنه لا ينتقل من آية لآية إلا إذا اتقن الآية الأولى علماً وعملاً، وأنزل الله عزوجل عليه أنوارها، وأفاض عليه علومها وأسرارها، وأحاطه علماً ظاهراً و طناً خبارها، ثم ينتقل إلى الآية الأخرى. على هذة الكيفية إنتشر القرآن فى مدينة النبى العد ن والدولة الإسلامية.

والقرآن جعل الله للمسلمين فيه ذكر الصفات السيئة التي لا يحبها الله من عبادة المؤمنين، عندما يهضم المؤمن هذه الآ ت لو سولت له نفسه فعل هذة السيئات أو واحدة منها سوف ينتفض ويرتعد، كيف سيخالف كلام الله؟

كيف سيمشى وهو يعلم ومتأكد تماماً أنه لذا العمل سيكون بعيدا عن الله؟

سيفقد رعاية الله وعنايته!!

كل هذا يجعل الإنسان يدخل فى قول الله عزوجل:

{ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ } (٢٠١الاعراف).

لذلك جعل الشرع لنا ميزا ً – نحن جميعاً نعرفه:

إذا استهان المؤمن بمعصية الله، ولم يندم ولم يلم نفسه، ولم يوبخ نفسه على فعلها، يكون إيمانه فى هذه اللحظة في إجازة وغير موجود!!!

حضرة النبى هو الذى قال ذلك:

**{ لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَ هُوَ مُؤْمِنٌ ، وَ لا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ ، وَ لا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ ، وَ لا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَ هُوَ مُؤْمِنٌ ، وَ لا يَقْتُلُ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ }**[١٤]

لأنه لو كان مؤمناً يعلم أن الله مطلع عليه، ويرى حركاته وسكناته، ويطلع على خلجات صدره، ويعلم خفا القلوب، فكيف يفعل شيئاً مثل هذا؟!! يرى أن الله مطلع عليه ويراه عليه!! سيستحى من الله أن يعصى الله عزوجل.

هذه الآ ت كلنا نسمعها، ولا ينفعل ا إلا من يتدبر ومن يتذكر، ومن يصفى القلب من القاذورات والأغيار ويملؤها الله عزوجل لأنوار، ويبدأ القلب فى هذه اللحظات مثل إشارة المرور الإلهية – التى نراها فى الكون – عندما نقترب من معصية .. اللون الأحمر ينير، يعلم أنه سيقع فى ذنب فيرجع عنه، يريد أن يمشى فى طريق؟ اللون الأخضر تنير ويعلم أن الطريق سليم، أو الأحمر ينير يعلم أنه غير سليم، لأن الله جعل له نوراً فى قلبه:

{ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ ا يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً } (٢٩الأنفال)

والفرقان هنا إخواني بمعنى ميزان، ويقول فيه النبى العد ن ﷺ: { اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ

---

١٤ الصحيحان من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

اللَّهِ } [١٥] – وفي رواية:

**{احْذَرُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ وَيَنْطِقُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ }[١٦]**، لأن الله يؤيده على الدوام.

عندما يقرأ .. النور من الآ ت التى سمعناها اليوم يجد فى الآية: {كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ }، وهنا فيه وقف، وكل هذا سيئات!! وكيف يقع فى السيئات؟!! سيحفظه الحفيظ عزوجل.

يريد أن يكون من الجماعة الأخيار والأبرار والأطهار، ينظر فى صفحا م فى كتاب الله، ويعمل أفعالهم؛ مرة ينظر إلى عباد الرحمن، ومرة ينظر إلى:

{ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ } (٣٥الأحزاب)

والعشر صفات العظيمة فى سورة الأحزاب، ومرة يينظر:

{التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ } (١١٢التوبة)

سينظر إلى الصفات العظيمة ويتجمل ا، وسيتخلى عن المعاصى ويتجمل بما يحبه الله عزوجل من عباده، وهذا المقصد الأعظم لأى مؤمن يريد أن يخرج من الدنيا وقد فاز بفضل الله ورضوان الله وإكرام الله.

وصلى الله على سيد مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

---

[١٥] أخرجه الطبراني وأبو نعيم عن أبي أمامة رضى الله عنه.
١٦ أخرجه ابن جرير عن ثوبان رضى الله عنه، والطبراني
المحاميد قبلي ٢٦ من محرم ١٤٣٦هـ ٢٠١٤/١١/١٨